خطبة صلاة الجمعة 21/ 11/ 2025 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(تعظيم أهل لا إله إلا الله)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«إِيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجسَّسُوا، وَلَا تَنَافسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغضُوا، وَلَا تَدَابَروا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُم، المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا، التَّقوَى هَاهُنَا، التَّقوَى هَاهُنَا** - ويشير إلى صدره - **بِحَسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المسْلِمَ، كُلُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَى أَجسَادِكُم، وَلَا إِلَى صُوَرِكُم، وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم»**.

عنوان خطبة اليوم: تعظيم أهل لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله.

هي الكلمة التي من أجلها قامت السماوات والأرض وجاءت بها رسل الله، وهي الركن الأول في الإسلام.

إننا نعبد الله وحده ولا نعبد معه سواه فلا معبود بحق إلا الله، وإننا نأخذ العبادة مما شرعه لنا وعلمناه رسول الله ﷺ، وإننا نعظم أهل لا إله إلا الله.

وقد قال سيدنا علي ﷺ: «أعلمُ الناس بالله أشدهم تعظيماً لأهل لا إله إلا الله».

كيف لا وعندهم الكنز العظيم والكلمة الطيبة والشهادة الحق التي يترتب على الإقرار بها سعادة الأبد والفوز الأكبر!

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله الأدبُ مَعَهم ومُعَامَلَتهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ - بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ، فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ أَدَب:

فَمَعَ الوَالِدَيْنِ: أَدَبٌ خَاصٌّ، وَمَعَ العَالِمِ: أَدَبٌ آخَرُ، وَمَعَ السُّلطَانِ: أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِ، وَمَعَ الأَقْرَانِ أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِمْ، وَمَعَ الضَّيْفِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

كتب الإمام علي زين العابدين في وصيته للزهري: "اجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فاجعل كبيرهم منك بمنزلة والدك، واجعل صغيرهم منك بمنزلة ولدك، واجعل تِرْبَك بمنزلة أخيك، فأيَّ هؤلاء تحب أن تظلم، وأيَّ هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأيَّ هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟

وإن عرض لك إبليس أنَّ لك فضلاً على أحد من أهل القبلة فانظر:

إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني.

وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني.

وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره، فمالي أَدَعُ يقيني لشكي.

وَإِن رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ مِنَ المُسْلِمِينَ يُكْرِمُونَكَ وَيُعَظِّمُونَكَ وَيَصِلُونَكَ فَقُل أَنتَ: هَذَا فَضْلٌ أَخَذُوا بِهِ، وَإِن رَأَيْتَ مِنهُمْ جَفَاءً وَانقِبَاضاً فَقُل: هَذَا ذَنبٌ أَحْدَثْتُهُ".

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم المسلم العالم: نقل الإمام النووي في كتابه التبيان عن الإمام ابن عساكر رحمه الله قوله: "واعلم يا أخي أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾".

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله رعاية المسلم المخطئ:

أخرج الدارمي في سننه عن رجل من العرب قال: زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين، وفي رجلي نعل كثيفة، فوَطِئْتُ على رجل رسول الله ﷺ، فنفحني نفحة بسوط في يده وقال: **«بِسْمِ اللهِ، أَوجَعتَنِي»**، قال: فبت لنفسي لائماً أقول: أوجعتُ رسول ﷺ، فبت بليلة كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: أين فلان؟ قال: قلت: هذا والله الذي كان مني بالأمس، قال: فانطلقت وأنا متخوِّف، فقال لي رسول الله ﷺ: **«إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالأَمْسِ فَأَوجَعتَنِي، فَنَفَحتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوطِ، فَهِذِهِ ثَمَانُونَ نَعجَةً فَخُذْهَا بِهَا»**.

فمع خطأ الرجل عظم النبي الكريم ﷺ شأنه لأنه من أهل لا إله إلا الله.

قال في فيض القدير: "إياك ومعاداةَ أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولايةَ العامة، فهم أولياء الله ولو جاؤوا بقراب الأرض خطايا ما داموا لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته، ومن لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدواً، ...ولا تكره العاصي من أهل لا إله إلا الله، بل اِكره فعله لا عينه".

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم الضيف وإكرامه:

روى الطبراني في الصغير والأوسط عن جرير بن عبد الله البجلي أنه جاء إلى النبي ﷺ وهو في بيت مدحوس [من الناس] فقام بالباب فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً فلم ير موضعاً فأخذ النبي ﷺ رداءه فلفه ثم رمى به إليه فقال: «يَا جَرِيرُ، اجْلِسْ عَلَيْهِ»، فأخذه جرير فضمه ثم قبله ثم رده على النبي ﷺ وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني. فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَاكُم كَرِيمُ قَومٍ فَأَكرِمُوهُ».

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم المسلم الخادم: فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: «خَدَمْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرٌ سِنِينَ، وَاللَّهِ! مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا».

وروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فينتقم لله عز وجل» [مسلم].

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم المسلم الوالد: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23، 24].

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم المرأة المسلمة: فقد أخرج الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

ومن تعظيم أهل لا إله إلا الله تعظيم المسلم الكبير: فقد أخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيبَةِ المسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرآنِ غَيرِ الغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلطَانِ المُقْسِطِ».

وهكذا أيها الإخوة يعظم المسلم أهل لا إله إلا الله، كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، علماء وبسطاء، أغنياء وفقراء، فالمنسوب لجانب الحق تنبغي مراعاة نسبته، والمنسوب لـ "لا إله إلا الله" تنبغي تعظيم حرمته.

وإن من الجفاء الكبير والذنب العظيم وقيعةَ المسلم في عرض أخيه المسلم أو في دينه، بالغيبة حيناً وبالسخرية حيناً آخر، وبالنميمة حيناً وبالافتراء والبهتان حيناً آخر، بالتنابز بالألقاب حيناً وبالشتائم حيناً آخر، كلُّ هذا وربنا سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 11-13].

نسأل الله أن يرزقنا الأدب الظاهر والباطن مع لا إله إلا الله.

والحمد لله رب العالمين